



موسكو تبتلع «جينيف 1»... المعارضة السورية لا تستطيع أن تهضم ما وراء أفعال الكرملين، خصوصاً تحجيمه الفيصل في المقابلة، غير المصنفة إرهابية، و«تسريب» مشروع الفيدرالية الذي يشجع أكراد البلد ويحرّضهم على رفض العيش تحت سقف الدولة الموحدة، ولو بُنيت ديمقراطية.

وأشنطن ابتلعت «الطُّعم» الروسي، أو أنها واثقة بـ«صواب» خيارها تفويض الكرملين ملف الحرب التي أدت إلى مقتل أكثر من ثلاثة ألف سوري، ومحظى مدنًا وبلدات عن الخريطة، وهزَّت حدود أوروبا... وانتزعت من العرب ما بقي لديهم من ثقة بوعود الرئيس باراك أوباما الذي أجاد قرع الطبول ثم ترك شعباً في حرقه الجلاد وحلفائه.

بات واضحًا من فصول الحرب- المحرقة، أن تقاطع مصالح- على الأقل- يجمع أربعة أطراف: أميركا التي تخشى على جنودها وتفضيل التفريح ولو أمام إبادات، وروسيا الثائرة لـ «كرامتها» في مواجهة «غطريسة» الغرب و«غدره»، وإسرائيل النائمة على حرير تدمير دولة أخرى عربية، بما يمكنها من ضمان أنها لخمسين سنة مقبلة... وأخيراً إيران الحليف الثاني للنظام السوري والذي لم يستطع إنقاذه رغم إرساله فرق «الخبراء» لإدارة المعركة.

موسكو تنسق مع إيران وإسرائيل وأميركا، وطهران وموسكو تديران نظام الرئيس بشار الأسد، وإن كانت الريبة الإيرانية واضحة حيال مدى إصرار الكرملين على التثبت بـ«شرعية» الأسد. صحيح أن الروس ما زالوا يقصرون موقع ومناطق تحت سيطرة المعارضة المعتدلة، لكن الصحيح أيضاً أن لا أحد يشكّ بـ«مرؤتهم» حين تأتي ساعة التسوية. ففيصر الكرملين يدرك أن أي مفاوضات جدية لطي صفحة الحرب، لا بد أن تكون مع المعارضة، بما فيها الفصائل المسلحة «غير الإرهابية». واستثناء الأسد باستعادة مناطق منها، لن يمكنه من فرض جدول أعمال لجنيف بمعايير النظام، أي الإصرار على

أولوية مكافحة الإرهاب. المهزلة أن الجميع يعرف تماماً أن الذريعة ذاتها للتنصل من المرحلة الانتقالية، ستجعل المرحلة في خبر كان قبل أن تبدأ، ما يفسّر غضب الهيئة التفاوضية العليا.

أربعة متذمرون على السوريين، على حساب دمائهم... أربعة أيضاً محشورون في زاوية الوقت والتسوية المريرة: طهران المشكّكة التي أجلّت روسيا تسليمها منظومة صواريخ حدّيثة، وموسكو الساعية إلى خفض موازنة الدفاع لجيشه، ونظام الأسد الفقير من نيات الكرملين، والمعارضة السورية التي تلقت ضربات وخسرت مناطق ومواقع بعد تدخل الروس. وإذا صح أن واشنطن تريد بالتفاهم مع الرئيس فلاديمير بوتين فرض تسوية في سورية، خلال ما تبقى من عهد أوباما، ينتقل قلق النظام وحليفه الإيراني إلى مرحلة حرجة، قد تستتبع «مبادرات» مفاجئة من الأسد لعرقلة قطار الحل، ليست من النوع المسرحي الذي اكتسحه دعوته إلى انتخابات عامّة الشهر المقبل.

الأكثر مرارة لدى السوريين، أن القطار الروسي الذي تحرّسه غارات على الأخضر واليابس، قد يدخل بوتين أولاً، ولا يصل إلى أي محطة... مسار الحرب لا تحسمه دائماً معركة هنا وكُرْ وفُرْ هناك، ولا الحرب الجوية وحدها قادرة على إرغام الفصائل المقاتلة على رفع الرأي البيضاء.

أما سيناريو العودة إلى الخيار الإيراني، فيعني - رغم استبعاده - إغفاء موسكو من كلفة الحرب، واستكمال انتحار سورية ونهر السوريين. وإذا كان صحيحاً ما أكدته واشنطن عن سحب طهران عناصر من «الحرس الثوري» من ساحات الحرب، فأغلب الظن أن الخطوة مرتبطة بقطار التطبيع الأميركي - الإيراني أكثر مما هي من مستلزمات إدارة الكرملين القتال. وتعيد إلى الذاكرة وقائع النفي الإيراني المتكرر للتفاوض مع الولايات المتحدة على ملفات إقليمية.

من يكسب الرهان، موسكو أم طهران؟ الجواب معروف إذا كانت المنطقة في مخاضها العسير على عتبة خرائط جديدة. ولكن، حتى لو أراد الكرملين تفادياً ما فعله الغرب في ليبيا، وتركه إليها لاقتتال الميليشيات، فأي تسوية مضمونة في سورية، وبين جولة قتال وأخرى تتضخم الأحقاد وألغام وحدة البلد؟ إذا أصرّت المعارضة على رحيل الأسد في بداية المرحلة الانتقالية، فهل يخرب النظام وقف النار، ليستدرج ضربات أخرى روسية، من أجل إنهاء كل الفصائل؟... أم أن القلق التركي - الإيراني من مشروع الفيدرالية السورية وطمومحات الأكراد، سيوحد تطلعات أنقرة ومصالح طهران في مشروع تعطيل القطار الروسي؟

الحياة اللندنية

المصادر: